مجلة إكليل للدراسات الانسانية
التصنيف الورقي: العدد 18 / حزيران/2024
المجلد(5)- العدد(2)-الجزء(1) IASJ–Iraqi Academic Scientific Journals

المقاومة العربية ضد البرتغاليين في الخليج العربي خلال القرن السادس عشر

أ.م.د. مصلح محمد عبد العيساوي
كلية التربية للبنات–جامعة الانبار

الكلمات المفتاحية: التاريخ الحديث. الخليج العربي. البرتغال

الملخص:

تشكل هذه الدراسة دوراً مهماً للكشف عن حقيقة مهمة زاخرة بالأحداث من تاريخ الخليج العربي الحديث تمثلت بالمقاومة العربية ضد البرتغاليين وانطلقت المقاومة منطقة قلهات على الساحل العُماني رغم الأساليب الوحشية التي استخدمها البرتغاليين من قتل واحراق المدن العربية الثائرة وأخذت تلك المقاومة بالتوسع لاسيما بعد وفاة القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك في عام 1520 وكانت مملكة هرمز هي التي لعبت دوراً مهما في حركة المقاومة العربية المسلحة لتمتد إلى البحرين ومسقط ومناطق الساحل العماني معتمدة على روح التضحية والتنسيق بين جميع المناطق الخاضعة للسيطرة البرتغالية في منطقة الخليج العربي واستطاعت المقاومة العربية لتحقيق انتصارات عديدة على البرتغاليين في القرن السادس عشر

المقدمة:

تشكل هذه الدراسة محاولة للكشف عن حقيقة مهمة زاخرة بالأحداث تمثلت بالمقاومة العربية ضد السيطرة البرتغالية في الخليج العربي باستخدامها الاساليب الوحشية ضد السكان المحليين وعدم احترام مشاعرهم الوطنية وعقيدتهم الدينية وكانت وفاة الفونسو البوكرك 1521م نقطة مهمه في بروز المقاومة العربية وانتشارها في مختلف ارجاء الخليج العربي.

شملت الدراسة مبحثين تناول المبحث الاول المقاومة العربية للمدة من 1507م الى 1521م تلك الفترة التي شهدت سيطرة برتغالية مطلقة على مياه الخليج العربي وكانت المقاومة العربية خلالها دفاعية فقط الا انها تمكنت من زعزعت الأسطول البرتغالي وتمرد البحارة البرتغاليين على قائدهم البوكرك.

وتناول المبحث الثاني المقاومة العربية ضد البرتغاليين من 1522م الى 1580م والتي اخذت المقاومة فيها بالتوسع والانتشار ضد البرتغاليين ومن العوامل التي ساعدت على ذلك السيطرة العثمانية على البصرة والتي اخذت على عاتقها مواجهة البرتغاليين في منطقة الخليج العربي مما ادى الى اضعاف البرتغاليين

المبحث الأول: الثورات العربية ضد البرتغاليين 1507-1521

تحولت الموانئ العمانية، بعد الاحتلال البرتغالي لهرمز، وعقد اتفاقية عام 1515 إلى قواعد عسكرية تابعة للحكم البرتغالي، إذ كانت امارات الساحل العماني قبل ذلك تابعة من الناحية السياسية إلى مملكة هرمز. واصبحت الدوريات البحرية البرتغالية تشاهد على نحو متواصل في مياه الخليج العربي، تتحكم بشكل مطلق بتجارته، فلا يسمح لأي سفينة تجارية محلية، مزاولة نشاطها التجاري دون اذن مسبق من الحاكم البرتغالي في الهند (1).

ومن قلعة هرمز مركز القيادة البرتغالية، مارس البرتغاليون سيطرتهم الكاملة على مداخل الخليج العربي، ولم تكن القوى المحلية والإقليمية في المنطقة، قادرة على تحرير المنطقة من القبضة البرتغالية الشديدة، بسبب انها كانت في وضع لا يسمح بتحدي تلك القوة (2).

شهدت المدة من عام 1507 حتى عام 1650 سيطرة برتغالية مطلقة على مياه الخليج العربي، ولم يتورع البرتغاليون من استخدام القوة المفرطة والأساليب البشعة لتعزيز نفوذهم العسكري والسياسي والاقتصادي، في بناء المحطات التجارية والقلاع العسكرية، في موانئ هرمز ومسقط والبحرين، وبقية الموانئ الخليجية لتشديد قبضتهم على مقدراته (3). إلا أن ذلك لا يعني ان عرب الخليج استسلموا للأمر الواقع، بل قاوموا البرتغاليين بإمكاناتهم الذاتية كلما سنحت لهم الفرصة(4).

كانت المقاومة الخليجية في مرحلتها الأولى (1507-1515) ذات طبيعة دفاعية، إذ كانت الهجمة البرتغالية سريعة ومفاجئة لهم، قبل ان يلتقطون انفاسهم وينتقلوا إلى مرحلة التأهب والتنظيم، لرفع الظلم البرتغالي الذي جثم على صدورهم، والهجوم على القواعد البرتغالية، واستئصال شأفة الوجود البرتغالي من المنطقة عموماً. ومما يدعو إلى الاسف ان المصادر المحلية، لم تشر إلى الصراع بين امارات الخليج العربي والبرتغاليين الا اشارات بسيطة(5)، في حين ان المصادر الأجنبية، وخصوصاً البرتغالية (6) والفارسية منها (7). اسهبت في الحديث عن الاستعدادات التي قام سكان المنطقة، في بناء التحصينات والقلاع لإيقاف

السيطرة البرتغالية، وغالباً ما كان استعراضهم للأحداث ينم عن تعصب ممقوت، وخرجوا باستنتاجات غريبة ومعوجة(8).

كانت المقاومة العربي في مرحلتها الأولى، سبباً في كثير من الاحيان في زعزعة قوة الاسطول البرتغالي، وتمرد البحارة البرتغاليين على قائدهم البوكيرك، وذلك دفعه إلى اعادة النظر في خططه العسكرية، وايقافها في احيان اخرى(9). وكان لتلك الاستعدادات اثرها في الطريقة التي تعامل بها القائد البرتغالي البوكيرك مع السكان، فأصبحت المدن الساحلية هدفاً لمدفعيته، تلهمها النيران من جميع اطرافها، بما في ذلك مساجدها وسفنها الراسية في موانئ قلهات، كما حدث ذلك في قلهات وقريات وصحار ومسقط وخورفكان وهرمز (10). ذلك يؤكد ويفسر ان البرتغاليين كانوا يتفادون مواجهة العرب بصورة مباشرة، فلجأوا في البداية إلى تدمير المدن، واضرام النيران فيها قبل دخولها(11).

ادت السياسة التعسفية التي مارسها البرتغاليون في الخليج العربي إلى ان يعيش سكان المنطقة على فوهة بركان ينذر بالانفجار في اية لحظة، ولم تستقر الأوضاع طويلاً في المنطقة لصالح البرتغاليين، فسرعان ما نشبت ثورات سكان المنطقة ومما زاد في اضطراب الموقف البرتغالي انهم زجوا بأنفسهم في الخلافات التي نشأت بين زعماء وشيوخ المنطقة، ووقفوا مع هذا الطرف ضد الطرف الاخر (12).

ما ان ذاع نبأ موت السفاح البرتغالي البوكيرك بين سكان المنطقة حتى بدأوا يعدون العدة لمهاجمة القواعد العسكرية البرتغالية في منطقة الخليج العربي، إذ ارتبطت كل معاني الغطرسة والجبروت والنزعة التخريبية والتعسف، واستنزاف اموال الاهلين في اذهان سكان المنطقة باسم هذه الشخصية البشعة (13).

ظهرت أول بوادر التحدي والانفجار عام 1519 من سكان قلهات بعد ان قرر ملك هرمز سيف الدين استعانة بقائد الحامية البرتغالية فيها لألقاء القبض على حاكم قلهات شهاب الدين، وجلبه اسيراً إلى هرمز (14). فأنتفض سكان المدينة بزعامة شهاب الدين، واتخذوا الاجراءات اللازمة لتقوية دفاعات المدينة، واعلنوا الثورة ضد البرتغاليين(15).

اصدر القائد البرتغالي في هرمز دوم كارسيا Dom Garcia الاوامر إلى قائد بحريته في هرمز بالهجوم على قلهات لإخماد الثورة فيها (16) واستعان قائد البحرية البرتغالية، بعشر سفن كانت في طريقها من لشبونه إلى الهند، وانزلت السفن قوة صغيرة، تسللت في جنح الليل إلى بيت حاكم قلهات (17). وامام الدفاعات القوية، والمقاومة الباسلة ارتد البرتغاليون بعد

ان تكبدوا عدداً من القتلى، وعدداً كبيراً من الجرحى والاسرى. وكان رد فعل فشل الهجوم البرتغالي على قلهات في الهند تحرك دوم ديجولويز دي سكويرا Dom Diego Lopesda saqurra، ووصل بنفسه إلى مسقط على راس اسطول مؤلف من ثلاث وعشرين سفينة، للتخلص من المأزق الذي وقع فيه البرتغاليون في قلهات. واستطاع نائب الملك تهدئة الأوضاع في المدينة، ووعد اهلها باتخاذ الاجراءات اللازمة لرفع الظلم عنهم، والتخفيف من الضغوط الاقتصادية عليهم، ونجح في اطلاق سراح خمسة عشر اسيراً برتغالياً اسروا بعد الهجوم البرتغالي على المدينة (18).

على الرغم من نجاح نائب الملك في الهند من تسوية الأمور في مدينة قلهات إلا أن انتفاضتهم مهدت الطريق لسكان الخليج العربي للتفكير بثورة أكثر تنظيماً واتساعاً، تحت قيادة ملك هرمز على جميع المواقع البرتغالية في المنطقة من قلهات إلى البحرين، واتفقوا على بدء الهجوم ليلة الثلاثين من تشرين الثاني عام 1521 (19). أي بعد سقوط امارة الجبور في البحرين والقطيف بعدة اشهر. وكان السبب المباشر للثورة هي: السياسة الجديدة التي اتبعها نائب الملك ، الملك الجديد، في منطقة الخليج العربي، فبعد ان كان النفوذ البرتغالي يقتصر في عهد سلفه البوكيرك يقتصر على هرمز. اراد نائب الملك الجديد الهيمنة على سائر الفعاليات الاقتصادية، وان تكون كلمة الحسم بيد البرتغاليين في قضايا التبادل التجاري، والسيطرة على الشؤون الكمركية، وتعيين موظفين برتغاليين في المراكز الكمركية في كل من هرمز والبحرين ومسقط وصحار وقريات (20). اذا اخذ السكان يضيقون ذرعاً من الحكم البرتغالي فضلاً عن استياء ملك هرمز من القيود التي كبلت يديه بسبب التدخل البرتغالي السافر في تنظيم دخل مملكته (21).

فضلاً عن الأسباب غير المباشرة التي تراكمت منذ ان وطأة اقدام البرتغاليين المنطقة كالاتفاقيات المجحفة التي ابرموها مع زعماء المنطقة، والخراب الذي حل بالمدن الساحلية الخليجية، والقسوة المتناهية التي تعاملوا بها مع السكان (22). ويبدو ان ملك هرمز توران شاه ووزراءه هم الذين وضعوا اللمسات الأولى لخطة الثورة، وبعثوا الرسائل السرية إلى حكام المدن الساحلية التابعة لهم، عن طريق التجار الموثوق بهم لقيام الثورة في وقت واحد (23). ومما يثير الاعجاب حقاً ان يتوصل ابناء المنطقة في هذه المرحلة المبكرة إلى وضع خطة موحدة بهذا الشكل(24).

بعدما ادرك ملك هرمز ان وجود الاسطول البرتغالي بأكمله في هرمز يشكل عائقاً لتنفيذ الخطة، طلب من قائد الاسطول البرتغالي في الجزيرة مساعدته لقمع القراصنة الذين يتعرضون لبعض الموانئ العمانية، وانطلت الحيلة على القائد البرتغالي، وبذلك نجح ملك هرمز في ابعاد نصف قوة الاسطول البرتغالي عن الجزيرة (25). والى جانب الترتيب بين هرمز والمدن الساحلية العمانية، كان هناك تنسيقاً بين الحكام العرب انفسهم في تلك المدن، إذ اتصل عدد من حكام المدن الساحلية بزعيم الاحساء والقطيف الشيخ مقرن بن زامل الجبري للتشاور معه، واستكمال خطة الثورة. مما دفع الاخير إلى الامتناع عن دفع الجزية، واعلن تبعية البحرين إلى زعامته، وقام من جانبه بالتعرض للسفن البرتغالية المتجه من هرمز إلى البصرة، واستطاع بناء عدد من السفن الحربية معتمداً على خبرة البحارة العثمانيين، إذ كانت الدولة العثمانية في ذلك الوقت قد بدأت تدرك الخطر البرتغالي، وتدعم المجهودات المحلية لاستنزاف المجهود الحربي البرتغالي(26).

دفعت التطورات الجديدة في البحرين البرتغاليين إلى اتخاذ اجراء حاسم لكبح نفوذ الجبور في البحرين والقطين (27)، التي اصبحت تهدد الوجود البرتغالي في الخليج العربي. فنجحت حملة برتغالية مؤلفة من سبع سفن واربعمائة جندي برتغالي تحت قيادة انطونيو كوريا Antonio Correa في احتلال البحرين عام 1521. وقتل زعيمها الجبري مقرن بن زامل (28). وبنو فيها قلاع من مدينة المنامة (29). ونظراً للبسالة النادرة التي ابداها الشيخ مقرن ومقاتليه في مواجهة المحتلين، عد البرتغاليون هزيمة مقرن، والقضاء عليه بشكل نهائي نصراً ضخماً، وعملاً مجيداً، استحق عليه القائد البرتغالي انطونيو كوريا التكريم والاجلال !!!، وتعد هذه المعركة من اطول المعارك التي خاضها البرتغاليون في الخليج العربي منذ بدأ عملياتهم العسكرية عام 1507 (30).

لم تمنع التطورات العسكرية البرتغالية الاخيرة في البحرين هرمز وبقية المدن الساحلية على المضيء في الخطة المقررة، فبعد مدة قليلة من احتلال البحرين، اندلعت الثورة في ساعة الصفر المقرره لها يوم الثلاثين من تشرين الثاني عام 1521، إذ باغتت مجموعة فدائية السفينتين البرتغاليتين الراسيتين في الميناء واستولت على احدهما، واحرقت النار في الثانية، وكانت النيران هي اشارة البدء بالهجوم. فأندفع المقاتلين والسكان ببسالة نادرة نحو الجنود البرتغاليين بشكل مفاجئ، وقتلوا نحو ستين جندياً برتغالياً، فأصابهم الهلع والارتباك فهربوا إلى القلعة البرتغالية المنيعة(31).

استطاعت القوات الهرمزية محاصرة قائد القلعة البرتغالية في هرمز، واصبحت على وشك اسرة، قبل ان تأتي سفينتين من مسقط لإنقاذه، كما ان الجنود البرتغاليين تحصنوا في القلعة، التي يحاصرها الثوار، وحاولوا الصمود لعدة اشهر، وواجهوا من شدة الحصار خطر الموت جوعاً وعطشاً، وكادت القلعة ان تسقط بيد الثوار، قبل ان تصلهم الامدادات العسكرية من الهند(32).

حاول البرتغاليون انقاذ حامياتهم التي يحاصرها الثوار في المواقع الأخرى فوصلت تعزيزات عسكرية جديدة إلى قلهات مكونة من ثماني سفن، وكان القائد البرتغالي قد توقف بأسطوله على مقربة من (طيوي) للتزود بالماء والمؤن، فتعرض لهجوم العرب فيها، اسهاماً منهم لأضعاف المجهود العسكري البرتغالي، وتطبيقاً لخطة الثورة، إلا أن القائد البرتغالي صد الهجوم العربي. وتحرك الاسطول لضرب الثورة في قلهات، وطلب من حاكمها تسليم الاسرى البرتغاليين فأجابهم ان هذا الاخير ليس من اختصاصه، وان ملك هرمز هو صاحب السلطة الوحيدة في مثل هذا الأمر وبعد فشل المفاوضات، هاجم القائد البرتغالي مدينة قلهات، وتمكن من هزيمة الثوار في موقعة (الوادي الكبير) فخضعت قلهات مرة أخرى للقوات البرتغالية(33).

اندلعت الثورة في البحرين بقيادة شيخ الجبور حسين بن سعيد، إذ تمكن مقاتليه من القاء القبض على حاكم الجزيرة البرتغالي، وحكم بالإعدام، وتم شنقه على جذع نخلة، وفر بقية الجنود البرتغاليون إلى القلعة، وما ان وصلت انباء هذه الهزيمة الشنيعة إلى نائب الملك في الهند، حتى جهز حملة بحرية على هرمز والمناطق الأخرى الثائرة في الخليج العربي، وكلف اخاه ليوس دي منسيز Louis de Manizes لقيادة الحملة، الذي وصل بأسطوله إلى صحار أولاً(34)، وهناك وجد القائد البرتغالي الخلافات الحادة التي كانت قائمة بين شيخ الجبور ومملكة هرمز فرصة سانحة لاستغلالها، لاسيما بعد ان تعهد حسين بن سعيد شيخ الجبور الذي كان يسيطر على معظم المناطق العمانية للقائد البرتغالي بالهجوم على صحار براً، والبرتغاليين بحراً، ووعد البرتغاليون الشيخ حسين بأن يكون حاكماً لصحار بشرط تبعيته للبرتغاليين. وبعد ان تم الهجوم تم القاء القبض على الثائر محمد بن مهنا الهديفي واعدم، اما ميناء صحار فقد دمر تدميراً تاماً(35). ويمكن تفسير موقف الجبور في عمان في التعاون مع البرتغاليين، هو غلبة روحهم البدوية، ورغبتهم للانتقام من ملك هرمز، الذي سبق وان

تعاون مع البرتغاليين في وقت سابق، مما كان سبباً في مصرع زعيمهم الكبير مقرن بن زامل(36).

بعد ذلك توجهت الحملة إلى مسقط التي كانت الظروف فيها مختلفة تماماً عن بقية المدن الساحلية الثائرة، إذ كان حاكمها الشيخ راشد موالياً للبرتغاليين بسبب خلافه الدائم مع الفرس فأنتهز فرصة وجود الاسطول البرتغالي ليفسخ تبعيته عن ملك هرمز، ويعلن ولاءه التام إلى البرتغاليين(37). وكان قد تظاهر في البداية بالموافقة على عدم معارضته لثورة هرمز، الا انه كان يبيت النية بخلاف ذلك. فأستغل اندلاع الثورة لصالحه، على امل ان يتخلص من تبعيته إلى ملك هرمز ويعلن استقلاله بمسقط، لذلك اطلقت المصادر الفارسية على وجه الخصوص عليه (خيانة شيخ مسقط للثورة) وعدت سلوكه هذا سبباً في عدم فشل الثورة(38).

وبعد نجاح البرتغاليين في اخماد ثورة مسقط، توجهت الحملة إلى القاعدة الرئيسية هرمز، إذ تركز الجهد البرتغالي عليها، بعد ان دافع سكانها بقيادة ملكهم توران شاه بقوة، وتمكنت الحملة فك الطوق عن الحامية البرتغالية في جزيرة هرمز(39). وبعدما ادرك ملك هرمز صعوبة الموقف انتقل فوراً إلى قشم، بعد ان امر الاهالي بحرق المدينة، وهناك لقي مصرعه اما البرتغاليين فقد دخلوا المدينة واسواقها تلتهما النيران، وارتكبوا سلسلة من الاعمال الوحشية بحق سكانها(40).

المبحث الثاني: الثورات العربية ضد البرتغاليين 1523-1582

أدى فشل الثورة الشاملة وتداعياتها عام 1521 إلى تشديد القبضة العسكرية والاقتصادية على الجزيرة، إذ قام القائد البرتغالي فنريس، بعد ان تلقي الاوامر من كوا بتعيين محمد شاه (1522-1534) - الذي لم يتجاوز الثالثة عشرة من العمر – ملكاً جديداً على هرمز، بدلاً من توران شاه الذي لقي مصرعه في جزيرة قشم(41).

واسرع نائب الملك في الهند دون دوارتي دي منيسز (1522-1544) إلى عقد معاهدة مع ملك هرمز المغلوب على امره محمد شاه ووزيره شرف الدين في الثالث والعشرين من تموز عام 1523، وكانت هذه المعاهدة مشابهة إلى حد كبير لبنود معاهدة عام 1515 التي ابرمها القائد البرتغالي البوكيرك مع ملك هرمز سيف الدين. وبموجب المعاهدة الجديدة اصبحت هرمز تحت الإدارة البرتغالية المباشرة، مما أدى إلى هجرة الكثير من التجار إلى المناطق المجاورة كقشم وغيرها، بسبب القيود المفروضة عليهم: ولم يتمكن البرتغاليون في هرمز من تسيير دفة

الأمور في الجزيرة، وانعاش الحركة التجارية فيها، كما كانت عليه من قبل، ففي اثناء مدة حكمهم البغيض خيم الركود الاقتصادي على الجزيرة، وانتهى الرخاء الشامل، والانتعاش التجاري الذي عاشها سكانها أكثر من قرنين من الزمن(42). واذا كان البرتغاليون قد اعترفوا لملك هرمز بالحكم، إلا أن حقيقة الأمر انه فقد سلطاته تماماً إلى الإدارة البرتغالية الجديدة. وذلك يعني من الناحية الواقعية سقوط الحكم الوطني في هرمز. ونتيجة للإجراءات القهرية التي فرضها البرتغاليون على الحركة التجارية، وتحصيل الرسوم، اصبح البرتغاليون هم الملوك الحقيقيون، ولم يعد لملك هرمز أي اثر يذكر في توجيه دفة الأمور في الجزيرة(43).

على الرغم من تعاظم النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في اعقاب معاهدة ميناب عام 1523، إلا أن سكان المنطقة ضلوا يتحينون الفرصة المناسبة للثورة ضد البرتغاليين. إذ اعلن السكان في الساحل العماني، لاسيما في مسقط وقلهات الثورة ضد البرتغاليين (44) في الحادي والعشرون من شباط عام 1526 بسبب سياسة الابتزاز التي مارسها ديو جوري ميلو D.Milew قائد الحامية البرتغالية في هرمز(45). وما ان وصلت انباء الثورة إلى كوا مقر القيادة البرتغالية غرب الهند، امر بأرسال اسطول مؤلف من خمس سفن حربية تحمل ثلثمائة جندي بقيادة لوبر فاز Lopo Vas في حزيران عام 1527 لقمع الثورة، وعادت السيطرة على المناطق الثائرة(46).

رسى الاسطول البرتغالي أولاً في قلهات، وحاول قائد الاسطول اتباع سياسية مرنة مع الاهالي، لامتصاص نقمتهم، واجهاض ثورتهم دون الحاجة إلى القوة العسكرية، بعد ان وعدهم برفع الحيف الذي لحق بهم، ومحاسبة المسؤولين عنه(47).

بعدها تقدم القائد البرتغالي لوبو فاز إلى مسقط، واتبع السياسة نفسها التي اتبعها مع ثوار قلهات، وبعد ان هدأت الأوضاع في كل من قلهات ومسقط اتجه إلى هرمز بعد ان اعاد فرض الضرائب التي كانت تدفع لملك هرمز(48).

اثبتت الاحداث التالية ان موافقة الثوار على الصلح مع القائد البرتغالي كان موقفاً مرحلياً، الغرض منه التقاط انفاسهم والتأهب للجولة القادمة، لاستئصال شأفة الوجود البرتغالي برمته عن المنطقة، فعلى الرغم من القبضة الحديدية التي فرض بها البرتغاليون انفسهم على السكان، لم تتوقف التحديات الخليجية لهم، ولم تخمد نار الثورة في نفوسهم. فكانت ثورة البحرين عام 1529(49).

كان السبب لثورة البحرين عام 1529، قيام الحاكم البرتغالي في الهند دوم نونو دي كونها Dom Nuno Gunha، اثناء زيارته إلى هرمز، بعزل الوزير شرف الدين، ونفيه إلى لشبونه نهاية عام 1528 تحت ذريعة الاعداد لثورة أخرى في الخليج العربي(50). وقد اشادت المصادر إلى ان السبب الاهم للثورة، هو قيام البرتغاليين بزيادة الضرائب على هرمز، إلا أن حاكم البحرين رفض التجاوب مع ذلك الطلب بسبب نفي الوزير شرف الدين(51).

لذلك طلب ملك هرمز، مرة أخرى من البرتغاليين التدخل لفرض الضرائب على البحرين(52). توجهت الحملة البرتغالية إلى البحرين في ايلول عام 1529، ولم يستطيع البرتغاليون على الرغم من الكثافة النارية لمدفعيتهم من الحاق الضرر الكبير بأسوار المدينة، مما أدى إلى نفاذ العتاد، وقبل وصول الامدادات الحربية من قاعدتهم هرمز انتشر وباء الطاعون بين الجنود البرتغاليين – الذي كانت البحرين تتعرض له في بعض اشهر السنة – مما كانت سبب في فشل حملتهم، لدرجة ان القائد البرتغالي في هرمز بعث بأسطول خاص، لإعادة مراكب الحملة وجنودها الذين قتل قائدهم مع حوالي مئتان منهم، وقضت الحمى على عدد كبير اخر، ولم يبقى من افراد الحملة سوى خمس وثلاثين جندياً برتغالياً، كان بوسع ثوار البحرين ابادتهم بالكامل(53)، مما اجبر ما تبقى من افراد الحملة إلى الانسحاب بسرعة إلى قاعدتهم في هرمز(54).

وبالقدر الذي تركت فيه معركة البحرين من اثار سيئة جداً على هيبة البرتغاليين، ونفوذهم في منطقة الخليج العربي، فأنها من جانب اخر انعكست بتأثيراتها الايجابية الكبيرة على مناطق الساحل العماني، إذ اضطر البرتغاليون إلى اعادة النظر بطريقة حكمهم للمنطقة وتعاملهم مع السكان، فغادروا اساليبهم السابقة، وبدأوا يفكرون فعلاً بتجنب أسلوب الحكم المباشر لتلك المناطق، ومنح القسم الأكبر من السلطة إلى الحكام المحليين، وحاولوا الابتعاد عن التدخل في تقاليد السكان، وانظمتهم المحلية، طالما لتتعرض بشكل مباشر مع السلطة البرتغالية أو تمس مصالحها الكبرى(55).

حاول البرتغاليون بسياستهم الجديدة تهدئة الأوضاع المتأزمة في المنطقة، بعد الخسائر التي حلت بقواتهم، لاسيما وان المنطقة بدأت تشهد في هذه الاثناء تغيرات في ميزان القوة الدولية، إذ جاء للحكم في الدولة العثمانية السلطان سليمان القانوني (1520-1566) وبدأ العثمانيون يمدون نفوذهم جنوباً نحو الخليج العربي بعد احتلالهم بغداد عام 1534،

واصبحوا على تماس مباشر مع مياه الخليج العربي باستيلائهم على البصرة عام 1546، التي اصبحت قاعدة لأسطولهم في المنطقة(56).

من الوجود العثماني في البصرة، ومع ان العثمانيين قاموا بمهاجمة قشم وتدمير الحامية البرتغالية فيها، واخضعوا مسقط مرتين(57)، الا انهم عجزوا عن اخذ هرمز مركز النفوذ البرتغالي في المنطقة والجزر البحرينية وهذا جعل العرب يعتمدون كلياً على قدراتهم الذاتية في زحزحة الوجود البرتغالي.

كما ان البرتغاليين حاولوا من جانبهم اتخاذ اجراءات وقائية لحماية وجودهم في منطقة الخليج العربي، من الحملات العثمانية المتعاقبة. فتعرضت البصرة إلى حملات برتغالية عام 1529 وحملة ثانية في عام 1550، وثالثة عام 1556(58).

ومما لاك فيه ان المجابهة العثمانية للوجود البرتغالي في الخليج العربي، قد ساهمت في اضعاف البرتغاليين ، واستنزاف مجهودهم الحربي الأمر الذي شجع الاخرين، على الدخول إلى ميدان المنازلة، إذ حاول حاكم فارس محاصرة هرمز عام 1582، وقام السكان العرب في نخيلو الواقعة على الساحل الشرقي للخليج العربي، بقطع المؤون والاحتياطي البرتغالي، ومنع وصوله إلى هرمز، مما اضطر البرتغاليين إلى تجهيز حملة برتغالية بقيادة بيتر بيريرا Peter Pareyra تتألف من خمسة عشر مركباً حربياً، عليها ستمائة جندي(59)، وعند وصولها إلى الساحل، فاجأهم سكان نخيلو، واوقعوا بهم هزيمة كبيرة، إذ قتل حوالي مائتين وخمسين جندياً برتغالياً عدا من غرق منهم، وبذلك فشلت الحملة فشلاً ذريعاً(60).

وقد ضاعف هذا الفشل البرتغالي من قدرة مواجهة العرب لهم، اذا اعطت هذه الثورات والانتفاضات المتلاحقة ضد الوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي ثمارها في المراحل اللاحقة، وكانت الركيزة المهمة التي ادت إلى زعزعة الوجود البرتغالي في منطقة الخليج العربي. بعد ان ادرك الزعماء المحليين ولاسيما في عمان ان نجاحهم العسكري والمعنوي مرهون بوحدتهم، وتأسيس دولة عمان الموحدة، وهذا ما قامت به سلالة اليعاربة في عهد الامام ناصر بن مرشد اليعربي (1624-1649).

الهوامش

---

(1) س. ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1986، ص 164.

(2) جون. ب. كيلي، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ترجمة: محمد امين عبد الله، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ص 8.

(3) عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ط1، دار الجبل، بيروت، 1991، ص 63.

(4) المصدر نفسه.

(5) سرحان بن سعيد الازكوي، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة لالجامع لاخبار الامة، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1980، ص 79؛ حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادس البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1977، ص 273؛ الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1978، ص 130؛ نور الدين عبد الله بن حميد السامي، تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، 1350 هـ، ص 175.

(6) السجل الكامل لاعمال الفونسو البوكيرك نائب الملك البرتغالي في الهند، ترجمة: عبد الرحمن عبدالله، ج1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000، ص 159؛ ارنولد. ت. ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافي، سطنة عُمان، 1985، ص ص 65-75.

(7) المصدر نفسه، ص 44.

(8) المصدر نفسه.

(9) نايف محمد حسن الاحبابي، الموقف العربي والاقليمي من الغزو البرتغالي في الخليج العربي 1505-1650، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989، ص 44.

(10) ارنولد. ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 65-73.

(11) المصدر نفسه.

(12) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1978، ص 31.

(13) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للغزو البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة، ج2، قطر، 1979، ص 628.

(14) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 31.

(15) المصدر نفسه.

(16) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 109.

(17) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 32.

(18) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 109.

(19) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 628؛ محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507-1525، مركز زايد للتاريخ والتراث، الامارات العربية، 2000، ص 29.

(20) ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مكتبة الترجمة بديوان حاكم قطر، ج1، قطر، الدوحة، 1967، ص 15؛ ارنولد. ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 80..

(21) جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج1، امارات الخليج العربي في عهد التوسع الاوربي الأول 1507-1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص ص 71-72.

(22) للاطلاع على الدمار الذي حل بسكان منطقة الخليج العربي، والاضرار التي لحقت بهم، والطريقة التي تعامل بها البرتغاليون معهم. يراجع: ارنولد. ت. ويلسون، المصدر السابق، ص 65-73؛ س. ب. مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافه، سلطنة عُمان، 1986، ص 166؛ عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ج1، ص 630.

(23) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص 72.

(24) المصدر نفسه.

(25) صادق حسن عبدواني، الدولة العمانية نشأتها وازدهارها، ندوة الدراسات العمانية، مج2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1980، ص 25.

(26) المصدر نفسه.

(27) للاطلاع على نفوذ الجبور في الجزء الشمالي من الخليج العربي يراجع: عبد اللطيف ناصر الحميدان، نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية 1288-1875، مجلة كلية الآداب، العدد 17، جامعة البصرة، 1981، ص 23.

(28) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 112-113.

(29) خضير نعمان العبيدي، البحرين من امارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، 1969، ص 27.

(30) محمد حميد السلمان، المصدر السابق، ص 236.

(31) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 32؛ صادق حسن عبدواني، المصدر السابق، ص 25.

(32) عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، المصدر السابق، ص 32.

(33) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 114.

(34) دنيا محمد مظفر الادهمي، الأوضاع السياسية في الخليج العربي في ظل التسلط البرتغالي 1515-1650، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000، ص 70.

(35) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 114-115.

(36) المصدر نفسه.

(37) صادق حسن عبد واني، المصدر السابق، ص 25.

(38) زهير قاسم محمد، الثورات الخليجية ضد الاحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة سر من رأى، المجلد الرابع، العدد التاسع، السنة الرابعة، جامعة سامراء، شباط 2008، ص 130.

(39) دنيا محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص 71.

(40) عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص 629؛ جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص 73.

(41) محمد حميد السلمان، المصدر السابق، ص 306.

(42) عبد العزيز محمد الشناوي، المصدر السابق، ص 628؛ محمد حميد السلمان، المصدر السابق، ص 309.

(43) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص 74.

(44) عائشة علي السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا، دار القدس، بيروت 1975، ص 27.

(45) زهير قاسم محمد، المصدر السابق، ص 134.

(46) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 117.

(47) صادق حسن عبدواني، المصدر السابق، ص 27.

(48) ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 9.

(49) المصدر نفسه.

(50) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 118؛ زهير قاسم محمد، المصدر السابق، ص 134.

(51) المصدر نفسه.

(52) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 118.

(53) نايف ، المصدر نفسه، ص 119-120.

(54) جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص 75؛ دنيا محمد مظفر الادهمي، المصدر السابق، ص 78.

(55) طارق نافع الحمداني، الخليج والجزيرة العربية بين القرن السادس عشر والقرن العشرين، بيت الوراق، بغداد، 2011، ص 12-13؛ روبرت جيران لاندن، عمان منذ 1856 مسيراً ومصيراً، ترجمة: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، ط3، سلطنة عمان، 1983، ص 33.

(56) نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 121.

(57) للتعرف بشكل تفصيلي عن الصراع العثماني البرتغالي في الخليج العربي والمحيط الهندي عموماً يراجع: نايف محمد حسن الاحبابي، المصدر السابق، ص 83-206.

(58) ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 10-12.

(59) نايف محمد سن الاحبابي، المصدر السابق، ص 122.

(60) ج. ج. لوريمر، المصدر السابق، ص 13.

قائمة المصادر

1- ارنولد. ت. ويلسون، تاريخ الخليج العربي، ترجمة: محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافي، سلطنة عُمان، 1985.
2- ج. ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، مكتبة الترجمة بديوان حاكم قطر، ج1، قطر، الدوحة، 1967.
3- جمال زكريا قاسم، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مج1، امارات الخليج العربي في عهد التوسع الاوربي الأول 1507-1840، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.
4- جون. ب. كيلي، بريطانيا والخليج العربي 1795-1870، ترجمة: محمد امين عبد الله، ج1، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان.
5- حميد بن محمد بن رزيق، الفتح المبين في سيرة السادس البوسعيديين، تحقيق عبد المنعم عامر، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1977.
6- خضير نعمان العبيدي، البحرين من امارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، 1969.
7- دنيا محمد مظفر الادهمي، الأوضاع السياسية في الخليج العربي في ظل التسلط البرتغالي 1515-1650، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000.
8- روبرت جيران لاندن، عمان منذ 1856 مسيراً ومصيراً، ترجمة: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، ط3، سلطنة عمان، 1983.
9- زهير قاسم محمد، الثورات الخليجية ضد الاحتلال البرتغالي في النصف الأول من القرن السادس عشر، مجلة سر من رأى، المجلد الرابع، العدد التاسع، السنة الرابعة، جامعة سامراء، شباط 2008.
10- س.ب. مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد أمين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عثمان، 1986.
11- السجل الكامل لاعمال الفونسو البوكيرك نائب الملك البرتغالي في الهند، ترجمة: عبد الرحمن عبدالله، ج1، المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2000.
12- سرحان بن سعيد الازكوي، تاريخ عمان المقتبس من كشف الغمة لالجامع لاخبار الامة، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان 1980.
13- الشعاع الشائع باللمعان في ذكر ائمة عمان، تحقيق: عبد المجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1978.
14- صادق حسن عبدواني، الدولة العمانية نشأتها وازدهارها، ندوة الدراسات العمانية، مج2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1980.
15- طارق نافع الحمداني، الخليج والجزيرة العربية بين القرن السادس عشر والقرن العشرين، بيت الوراق، بغداد، 2011.
16- عائشة علي السيار، دولة اليعاربة في عمان وشرق افريقيا، دار القدس، بيروت 1975.

17- عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية، مطبعة الارشاد، بغداد، 1978.
18- عبد العزيز عوض، دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث، ج2، ط1، دار الجبل، بيروت، 1991.
19- عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الأولى للغزو البرتغالي في شرق الجزيرة العربية، البحوث المقدمة إلى مؤتمر دراسات شرق الجزيرة، ج2، قطر، 1979.
20- عبد اللطيف ناصر الحميدان، نفوذ الجبور في شرق الجزيرة العربية بعد زوال سلطتهم السياسية 1288-1875، مجلة كلية الآداب، جامعة البصرة، العدد 17، 1981.
21- مايلز، الخليج العربي بلدانه وقبائله، ترجمة: محمد امين عبد الله، وزارة التراث القومي والثقافه، سلطنة عُمان، 1986.
22- محمد حميد السلمان، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة مابين 1507-1525، مركز زايد للتاريخ والتراث، الامارات العربية، 2000.
23- نايف محمد حسن الاحبابي، الموقف العربي والاقليمي من الغزو البرتغالي في الخليج العربي 1505-1650، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 1989.
24- نور الدين عبد الله بن حميد السامي، تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان، القاهرة، 1350 هـ.

List of sources

1- Arnold. T. Wilson, History of the Arabian Gulf, translated by: Muhammad Amin Abdullah, 2nd edition, Ministry of National and Cultural Heritage, Sultanate of Oman, 1985.
2- C. C. Lorimer, Gulf Guide, Historical Section, Translation Library at the Court of the Ruler of Qatar, Part 1, Qatar, Doha, 1967.
3- Jamal Zakaria Qasim, Modern and Contemporary History of the Arabian Gulf, Volume 1, The Emirates of the Arabian Gulf during the Era of the First European Expansion 1507-1840, Dar Al-Fikr Al-Arabi, Cairo, 2001.
4- John. B. Kelly, Britain and the Arabian Gulf 1795-1870, translated by: Muhammad Amin Abdullah, Part 1, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman.
5- Hamid bin Muhammad bin Raziq, Al-Fath al-Mubin fi Biography of the Sixth Al-Busaidis, edited by Abdel Moneim Amer, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1977.
6- Khudair Noman Al-Obaidi, Bahrain from the Emirates of the Arabian Gulf, Al-Ma'arif Press, Baghdad, 1969

- Donia Muhammad Muzaffar Al-Adhami, the political situation in the Arabian Gulf under Portuguese tyranny 1515-1650, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 2000.

8- Robert Geran Landen, Oman Since 1856, a Path and a Destiny, translated by: Muhammad Amin Abdullah, Ministry of National Heritage and Culture, 3rd edition, Sultanate of Oman, 1983.

9- Zuhair Qasim Muhammad, Gulf Revolts against the Portuguese Occupation in the First Half of the Sixteenth Century, Secret of the Saw Magazine, Volume Four, Issue Nine, Fourth Year, University of Samarra, February 2008.

10- S.B. Miles, The Arabian Gulf, Its Countries and Tribes, translated by: Muhammad Amin Abdullah, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Othman, 1986.

11- The Complete Record of the Works of Alfonso Albuquerque, Portuguese Viceroy in India, translated by: Abdul Rahman Abdullah, Part 1, Cultural Foundation, Abu Dhabi, 2000.

12- Sarhan bin Saeed Al-Azkawi, The History of Oman, quoted from Kashf Al-Ghumma by Al-Jami' for the News of the Nation, edited by: Abdul Majeed Hasib Al-Qaisi, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1980.

13- The common radiance of brilliance in mentioning the Imams of Oman, edited by: Abdul Majeed Hasib Al-Qaisi, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1978.

14- Sadiq Hassan Abdwani, The Omani State, Its Origins and Prosperity, Omani Studies Symposium, Volume 2, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1980.

15- Tariq Nafi' Al-Hamdani, The Gulf and the Arabian Peninsula between the Sixteenth and the Twentieth Century, Bait Al-Warraq, Baghdad, 2011.

16- Aisha Ali Al-Sayyar, The Ya'ariba State in Oman and East Africa, Dar Al-Quds, Beirut 1975.

17- Abdul Aziz Abdul Ghani Ibrahim, Britain and the Emirates of the Omani Coast: A Study in Treaty Relations, Al-Irshad Press, Baghdad, 1978.

18- Abdel Aziz Awad, Studies in the History of the Modern Arabian Gulf, vol. 2, 1st edition, Dar Al-Jabal, Beirut, 1991.

19- Abdel Aziz Muhammad Al-Shennawi, The Early Stages of the Portuguese Invasion in Eastern Arabia, Research Submitted to the Eastern Peninsula Studies Conference, Part 2, Qatar, 1979.

20- Abdul Latif Nasser Al-Humaidan, The influence of the Jabours in the eastern Arabian Peninsula after the demise of their political authority 1288-1875, Journal of the College of Arts, University of Basra, No. 17, 1981.

21- Miles, The Arabian Gulf, Its Countries and Tribes, translated by: Muhammad Amin Abdullah, Ministry of National Heritage and Culture, Sultanate of Oman, 1986.

22- Muhammad Hamid Al-Salman, The Portuguese conquest of South Arabia and the Gulf in the period between 1507-1525, Zayed Center for History and Heritage, United Arab Emirates, 2000.

23- Nayef Muhammad Hassan Al-Ahbabi, The Arab and Regional Position on the Portuguese Invasion in the Arabian Gulf 1505-1650, unpublished master's thesis, College of Arts, University of Baghdad, 1989.

24- Nour al-Din Abdullah bin Humaid al-Sami, Tuhfat al-A'yan fi Biography of the People of Oman, Cairo, 1350 AH.

Arab resistance against the Portuguese in the Arabian Gulf during the sixteenth century

Assist Prof Musleh Muhammad Abdel-Issawi

College of Education for Girls

Anbar University

muslih.moh@uoanbar.edu:iq

Keywords: modern history. The Arabian Gulf. Portugal

Summary:

This study plays an important role in revealing an important fact full of events from the history of the modern Arabian Gulf, represented by the Arab resistance against the Portuguese, especially in the Malhat region on the Omani coast, despite the brutal methods used by the Portuguese of killing and burning the rebellious Arab cities. This resistance began to expand, especially after the death of the Portuguese leader Alfonso. Albuquerque in the year 1520, and the Kingdom of Hormuz was the starting point for the Arab armed resistance to extend to Bahrain, Muscat, and the Omani coastal areas, relying on the spirit of sacrifice and coordination between all areas under Portuguese control in the Arabian Gulf region. The Arab resistance was able to achieve many victories over the Portuguese in the century sixteen.